الكثلكة في ماردين

رواية لشاهد عيانيّ نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وكان في تلك الأيام الخواجا اسحق في دياربكر. فكتبنا لهُ مكتوباً وارسلناه مع الساعي واخبرناهُ بكل هذه الامور انَّ البطرك قد تشمَّر لفعل الشرور فلازمٌ لازم ان تقوم وتجيء لانَّ الشغل قويّ خراب هو. فقام جاء وراح الى الحاكم وكان الحاكم قد سمع بهذه الامور كلها فقال للخواجا اسحق: ان بطركم يعمل هكذا اوزاع (١ وما يشاورني وما يحسبني. فاجابهُ الخواجا اسحق: «انَّ هذا الرجل ما هو بطركي انا ارمني وهو يعقوبيّ لكن من اجدادنا نحن محاوطون مع بعضنا بعض ومن قديم ناخذ منهم بنات ونعطيهم والان هذا يريد يبطل هذا القانون. انا لي اخوان مخطوبان ان فكس (٢ غيري اولادهم فكستُ انا ايضاً اخويّ»

فارسل الامير وجاب البطرك من الدير (اي دير الزعفران) وقال لهُ: يا بطرك لماذا جميع اهل القرى وامراء العرب والاكراد أتوا فسلّموا عليّ وهنّأوني بالحكم وكل واحد جاب هديّتهُ وانت ما جيت اليّ وما حسبت حسابي فلمأذا قد قالوا لك اني لستُ حاكماً بل معزولاً. فقال لهُ: يا امير كنت انتظر العيد يجيء لآتي اليك. فقال لهُ الامير: انا لا اريد اكسر خاطرك لانك صديقي من قديم ولأنَّ اكثر الناس يحبُّونك والآن قد اذنبتَ ذنباً عظيماً فقرامتك خمسمائة قرش تجيبها غداً من الصباح. وايّ شيء يطابهُ قلبك اعمله

فجاء البطرك وكانت جمعة الاربعين من الصيام فبعث جمع المواعيث (٣ وتشاور معهم وقال لهم: اريد ان تجيئوا معي حتى اروح اكلّم الامير تكراراً. فقالوا: سمعاً وطاعةً. فاخذ معهُ البعض من مريديهِ وراح الى عند الامير فقال لهُ الامير: لماذا جئت يا بطرك. فقال: يا امير انا رجل فقير ما عندي شيء ابداً وهاانت وهؤلاء الجماعة

---

١) يريد بالاوزاع الحركات والفتن. واللفظة سريانية

٢) فكسهُ انهاهُ وأبطلهُ ٣) لفظة سريانيّة بمعنى الرهبنة

فان شئت ان تغرّمهم فغرّمهم لاني انا ما بقي لي طاقة حتى اقدر ادبرهم لأنّ نظري ما بقي يقشع وآذاني لم تسمع وقد بقيتُ رجلًا ساقطاً

فحينئذٍ اشهد عليه الامير شهوداً وكان عندهُ قابوجي ثقيل (١ فاشهدهُ عليه انهُ باختياره تنازل من البطركيّة وبقي محلولًا. فقال لهُ: امضِ اسكن في ديرك ولا تختلط في البطركيّة وانا اقيم بطركاً عوضك. واخذ منه كفالة ان لا يهرب من الدير الى موضع آخر. فجاء من السراي وجمع حوائجهُ وراح الى دير مار يعقوب. وتلك الليلة سام اربعة مطارين بالسرقة. فارسل الى الفريان (العازر) تهديداً يأمرهُ ان يقوم ويهرب الى ديار بكر. فخوفاً من شرّه قام وهرب

ولمّا كان الصباح ارسل الامير الى الفريان ليجيء فينصبهُ بطركاً فلم يجدهُ فسألوا عنهُ اهلَ الضيعة فقالوا لهم ان البطرك بعث له جبرًا (امرًا) وهربَهُ في هذا الوقت. فاتوا واخبروا الامير فأركب خلفهُ لوند (٢ حتى يلحقوهُ ويجيبوه فساقوا خلفه الى قدّام ديار بكر ولم يلحقوهُ وقُتلت لهم فرس الامير التي كانت تساوي ٥٠٠ قرش فاغتاظ غيظاً شديداً وارسل جاب البطرك والقاهُ في الزنجير ومعه محبُرهُ اي المطران الكركي وابن الجلّ وابن طريريخه. وصار له من طائفته من يدّعي عليه قائلين: هذا الرجل قد عمل خلاف البطاركة سلفائه لأن البطرك مسا له على الماد شيء ولا على الخطبة ولا على الزيجة ولا على الميت وهذا صار يبيع بنات الناس بالدراهم ويأخذ على الميت اكثر من القاضي ومن الزيجة اكثر من الحاكم وكانوا قبله ياخذون في البيعة صينيّتين وهو بقي يلمّ سبع صواني. فكتب الامير هذه الدعاوى وبعث جاب قسوس اليعاقبة وقرأ قدّامهم هذه الاشيا. وقال لهم: هذا صحيح ام كذب. فقالوا: يا امير كل هذا حق. فقال: تشهدون بهذا. قالوا: نعم نشهد قدّامك وقدّام الله

ثم ارسل الامير الى المفتي وقال له: من يكون معه فرمان ويعمل خلاف فرمانه ويظلم الرعيّة فاذا يجب عليه. فقال المفتي: يجب عليه القتل. فقال الامير: أعطني فتوى في هذا. فكتب لهُ الفتوى وارسلهُ الى الزنجير وقرأوا قدام البطرك ما قضوا عليه. فبدأ

---

١) القبوجي بالتركيّة البوّاب ومعناهُ هنا الحاجب الكبير. والثقيل الوجيه

٢) اللوند بالتركيّة الحرس والجند غير المنظّمين

يبكي ويقلق وارسل يتوسل الى الخواجا اسحق كي يشتريه. فقال: انا ما لي خاطـة في الامر. فاجتمع جميع اغنياء اليعاقبة وتوسّلوا الى الخواجا اسحق كثيرًا حتى يروح قدّامهم وهم يكفلون لجميع ما يروح للبطرك فراح قدّامهم وكفلهم جميعهم قـدام المسلمين وتوسّل الى الامير كثيرًا وقطع غرامة البطرك اربعة اكياس دراهم ابي كلب (١ لانّ في ذاك الزمان لم تكن تـلك الزلطه (٢ في ماردين

فـثبوا البطرك من الزنجير يوم خميس الصوم الكبير المـاء ويوم الجمعة من الصباح قام هذا الشقي ليكرز وبدأ يجدّف على اولاد البيعة المقدّسة باقوال سمجة سفيهـة لا تقدر تكتبها ونحكيها. ومن جملتها انّ هؤلاء كلهم زناة لانّ المرأة لا تحـلّ للرجل الّا بالصليب وهؤلاء ينكرون الصليب ويقولون ان الذي صُلب كان انسانًا ولم يصلبوا الله (٣ واولادهم غير حلال. فاغتظتُ من هذا الكلام كثيرًا وخرجت من البيعـة وجئت ومعي اثنان كاثوليكيّان فاخبرنا الخواجا اسحق فقال لنا: «انتم تريدون ان تجـلدوا واحدًا وتوجعوهُ وما تتركونهُ يبكي خاؤهُ يفشر ويأكل على حامض (٤. كل واحد يعرف ايمانهُ». ثم بعد ايّام مضت رأى البطرك فخزيانه (وبخهُ) على كرازته فقـال معتذرًا: انهُ لم يدرِ ما كان يكرز لان عقلهُ قد ضاع. وبعد ايّام قام وراح الى قلّث (٥

ويوم الاحد اخذت الكتاب ونزلت لأقرأ فجاء واحد من الشمامسة وطيّق الكتاب من قدامي وقال: قد اوصى البطرك ان لا تتركك تقرأ او تفتح فمك في الكنيسة. فطبقت الكتاب وقطّعتهُ على رأسهُ وشلحت القميص (٦ ورحت الى عند الامير وكان قاعدًا في الديوان خانه الكبيرة فسألني: ايش الخبر يا شماس. قلت: يا امير انّ احـد

---

١) هذه الدراهم عرفت بهذا الاسم لصورة كلب كان مصوّر عليها. او بالحري صورة أسد ولذلك عُرفت ايضًا بالدراهم الاسدية (*Cfr* Rabbath: *Documents du Christianisme*, I, 571)

٢) الزلطة اصلها زرلوطة وهي قطعة من فضّة عليها الطغراء السلطانية. واصل اللفظة من اللغة البولونية (zolotas) وكانت من نقودهم

٣) العجب من هذا البطرك الذي لم يفرق بين اقنوم الكلمة الابن الواحد وطبيعتيه الالهيّة والبشريّة. فان الكاثوليك يعترفون الصلب للاقنوم الالهي ولكن في طبيعته البشريّة لا في طبيعته الالهيّة التي لا تقبل التغيير والالم

٤) الاكل على الحامض كناية عن المأتم الموجوع الذي يشتكي لوجيعه واصلها في الاضراس

٥) قلّث احدى قرى اليعاقبة في طور عابدين

٦) يريد القميص الطويل الذي يلبسهُ الشمامسة

الشماسة طردني وسبني: فامر الباش چوخدار (١ وقال له: روح مع الشماس وجيب خصمهُ. ونحن ماضون في الطريق جاء فينا رأساً (٢ الخواجا اسحق فسأل: ايش هو الخبر. فحكيت لهُ بالقضيّة فقال: انَّ الامير ظنّ انَّ خصمك هذا هو غنيّ مثل البطرك فلاجل ذلك بعث معك هذا الچوخدار الذي خدمتهُ عن قليل هي عشرون قرشاً فلاي سبب ما شاورتني ورحت اشتكيت. فاخبرتهُ اني شاورتُ استأذي فاذن لي

ولمَّا رحنا دوَّرنا على الغريم فلم نجدهُ لانهُ هرب فقال لي الچوخدار: ما لهُ اهل. فقلتُ لهُ: نعم لهُ عمّ دلّال في القيصريّة (٣ والآن هو في القهوة. فقال: امض أرني اياهُ. فاخذتهُ ورديته لعنده فقال له: اين ابن اخيك. فقال: ما اعلم. فقال له: امش اقعد موضعه الى ما يأتي. ثم جابه برَّاني الى الزنجير (اي الحبس) ومضينا اخبرنا الامير فقال لي: ما عليك روح الى شغلك. ولمَّا جيت الى عين سوق القطن لقيت ان كل البراعيث اجتمعوا مع الشماس وجابوهُ وقد البسوهُ خلقانًا عتقًا ومعه الشماسة. فلمَّا رأوني قالوا لي: انت تقتل الشماس وتمضي تشتكي عليه اليوم نريد نشهد عليك كلنا ونعطي مالنا كله قدامك ونصلبك. فقلت لهم: امشوا معي. ولمَّا مشيت قليلًا نظرت انهم بدأوا يهربون فبقي مقدار خمسين واحدًا. فبدأت اسوقهم زورًا قدَّامي. ولما وصلنا الى قدَّام الرصيف (٤ بقي منهم عشرون واحدًا فطلعنا على الرصيف فنظرتهم فاذا قد قعدوا جميعهم على حيالهم

فدخلتُ انا والخصم قائمًا وقفنا قدَّام الامير كان الخواجا حنَّا واقفًا فقال الامير لخصمي الشقي: لاذا طردت هذا الشماس من البيعة. اجاب: ان البطرك اوصاني ولي شهود. فامر الامير بجلده بالعصيان. فباس الخواجه حنَّا يد الامير ولم يتركهم يجلدونه لكنَّ البكباش قام فيه بسلاية (٥ حتى زجَّج عينيه ورفعوهُ من موضعه الى الزنجير. فلما نظره اتباعه خافوا خوفًا عظيمًا وما وجدنا منهم ولا واحدًا. وبقي الشماس في الزنجير

---

١) اي رئيس الخدام والشرط. واللفظة تركية تكتب ايضًا چوربه دار

٢) اي قابلنا وجهًا بوجه

٣) القيصرية سوق التجار تُباع فيها الاقمشة والحرائر

٤) اي رصيف المجلس حيث كان الامير

٥) السلاية في لغة ماردين الضرب بالكف. وزجَّج عينيه اي اعماها

خمسة وعشرين يوماً . ولما جئت الى السوق بقي جميع الهراطقة يقولون : « مليحاً عملتَ به هذا النجس . لأيش كثَّر كلامه أما كان في البيعة اكبر منه » . وهذا الشقي قد احرق قلب الورتبيت كثيرا لأنه لما كان الورتبيت في كنيسة البربارة كان هو يقعد في الثلمة (١ ويكتب اسامي الذين يروحون الى عنده . وكان يقلع على الورتبيت تقليعات سمجة الوانا واشكالاً . وكان يشارك في الكذب والشرور والبهتان الزرط والجاروق (٢ . وبعد ذلك اخذ كنَّة (٣ امرأته وكانت من فضَّة فباعها وكمَّل عليها واعطى خدمة حقّ الزنجير وفكّه الخواجا اسحق . فصمت الهراطقة وخافوا خوفاً عظيماً . وبقوا يقولون انَّ الامير قد صار باطري (٤

الَّا انَّ هذا الامير بعد مدَّة صار يتجبَّر كثيراً وما كان يحسب حساباً لاحد وكان له قصور كثيرة مشيَّدة مزخرفة شاهقة تكلَّف عليها ازيد من مائة كيس من مال ابيه ومن ماله . واراد ان يبني قصراً آخر يكون معلقاً فبنى صياطاً (٥ عظيماً وابتدأ في بنيان القصر ووضع الشبابيك فاتخذ منهُ عمهُ واولاد عمه وعملوا عليه مشورة مع المفتي والقاضي وابن يعقوب باشا والصخطوريَّة (٦ . وصباح عيد التجلي اخرجوا الأعلام من الجوامع ووضعوها في رأس المنارة وأغلقت الاسواق وتساعت الناس من مسلمين ونصارى وهجموا على الامير ليقتلوه . فكَّر ابواب قصره وبقي هو وجماعتهُ جوَّا محصورين وحكم الاعيان على اهل البلد ان ينظروا (يراقبوا) الاسوار ليلاً ونهاراً . وما كان احد يقدر يشتغل في تلك الأيام من جميع الصنائع ولا يقدر احد يأتي من البريَّة ليبيع ويشتري . وقامت شوكة الهراطقة وبقوا قاصدين ان يشربوا دم المسيحيين (اي الكاثوليك) . فليلة عيد السيدة نصف شهر طبَّاخ (٧ وفيه عيد انتقالها الى السماء عند الصباح خرج الامير مع جماعته من باب اشواط (٨ ومن هناك الى دياربكر وعرض

---

١) يريد ثلمة سور البلد بين ماردين وميافارقين حيث توجد كنيسة البربارة

٢) الزرط والجاروق هم قوم من اهل الدعارة والفساد

٣) الكنَّة معناها على شبه القبعة تلبسهُ النساء

٤) اي صار كاثوليكياً او افرنجياً والباطري في الايطالية الاب (padre) تُقال للكاهن

٥) لعلَّهُ يريد بالقصر المعلق نوعاً من الكشك . والصياط والباط السقيفة بين دارين تحتها طريق

٦) الصخطورية او السختوريَّة فئة من ذوي البأس المتعصبين

٧) طبَّاخ شهر آب دعي به لنضج ثماره

٨) احد ابواب ماردين

الحال الى اسطنبول. وانا الحقير اذ كنت مدشمناً (١ من المراطقة وخصوصاً اهل محلة الباب الجديد اخذوا يقولون اني قد صرت سبب تمسيك (توقيف) البطرك وتهريبه من البلد ويقولون للمسلمين الذين في المحلة اني قد صرت افرنجياً

ومن تجاريب الزمان في تلك الأيام بينها انَّ اليفناغ (٢ كان قائماً واهل المحلة كلها قد نزوا قتلي وكان في بيتنا جبّ قديم وجدناهُ لما اخذنا البيت من مدة اثنتين وعشرين سنة. ففي تلك الأيام كان رجل حنفي شرير يسمى عُمَر اوردباشي الغرسيوي وكان رأس اليفناغ. وكان بيتهُ عند حمّام الباب الجديد وبيتنا تحت بيعة الارمن. وكان في وسط بيتهِ عين ماء. فنظر انهُ قد جاءها بياسة (٣. فنقّش في المحلة وحفر ابياراً كثيرة فلم يأخذ لهُ صالبغ (٤. فقال لهُ المراطقة: انَّ هذه هي من مكان بيت الكزير او من كنيسة الارمن. فنقش في كنيسة الارمن فلم يجد شيئاً. ثم جاء مهار هرطوقيّ ليرى بيتنا وضرب اوتاداً في الحائط من برّا ونقش (خرب) الحائط وحفر. فلما بلغ الحفر مقدار قامة رأى جبًّا عميقاً واسعاً يروح لهُ مقدار اربعين ذراعاً من الجبل وجبّ القدمكاه (٥ الى فوق منهُ. ولطول الزمان في تلك السنة خرق جبّ القدمكاه الى جبّ العين. فلما بانت هذه تشرَّر (٦ علينا ذلك الحنفي وقال انه يريد يحرقني ويحرق اهل البيت كلّه والمراطقة كانوا يحضّونهُ ازيد وازيد. وكان خواجاتي (٧ الشيخ محمد ابن فضلي چلبي فوقعت عندهُ وعند اولاد أنْزاده وعند المفتي فصالحونا مع الحنفي وقالوا: هذا النّماس ايش ذنب عمل. هذا شيء قديم من الوف سنين. فقال: اني خسرتُ دراهم. فألزمونا ان نعطيه خسارتهُ وان ننظّف طريق العين وان نصطلم (٨ القدمكاه وسدّ بابها فراح لنا مقدار مائة وعشرين قرشاً

---

١) اي بغضاً والدشمان لفظة فارسيّة معناها العدوّ

٢) اليفناغ في الفارسية والتركية الجماعة والشركه. يريد انَّهُ عُصَب الاشرار

٣) الياسة الوسخ واصلها الفارسية پياز وهو البصل

٤) الصالبغ لفظة اعجميّة معناها الحجر

٥) القدمكاه بالفارسية المجرى والمصبّ

٦) تشرَّر علينا اي ابدى الشرّ والاساءة

٧) يريد الشيخ الذي كان ابن الكزير في حماهُ كعادة تلك البلاد

٨) صطمهُ اي سدَّهُ

وبعد ذلك هربتُ الى المحلمية (١ واخذت معي بعض حوائج من عطرة رقاش وآلة حكمة (ادوية) اذ كنت قد تعلمت بعض اشياء من ابن فتي ومن الشماس عازر وكان عندي كتابان في الحكمة واخذت معي خادماً نصرانيًا يعرف تلك المواضع فرحنا الى ضيعة شوراصج ونزلنا في بيت واحد تحلمي يسمّى ابراهيم وكان رجلًا مليحاً اخير (خيرًا) من عشرين هرطوتيًا . فمرَّنا كثيرًا . وفي اوّل يوم بعت باع جميع الحوائج التي كانت معي فباع منها بالعدس والحمّص . وكان عند هذا الرجل بيت كبير مملوّ زبشًا (٢ ناعمًا وكل من ياتي ليتحكّم اطلب منهُ عسلًا فملأت منهُ بستوقة (٣ وبقيت اشقّ الزبش واتلي (اسكب) في كل واحدة معلقتين عسل واتركها في الشمس . وفي اليوم الثاني اعصرها فيخرج من الزبشة مقدار مائة درهم عرق كسكون (٤ وكان بعض نصارى ماردين جاؤوا اليَّ فسقيتهم من هذا العرق . فلمَّا شربوا تعجّبوا ولم يعرفوا من اي شيءٍ هو . فبقيت في هذه الضيعة مقدار شهر وكسبت خمسين قرشًا من الحكمة

وبعد ذلك جئت الى ضيعة عين كاف ونظرت فيها الزبيب رخيصاً فاشتريت ارطال بقرش والرطل كبير . فاخذت منهُ بخمسة قروش وجئتهُ الى الضيعة مع احمال الحمّص والعدس والخادم معي . فلمَّا وصلنا الى ضيعة قالوق وكان هناك ابراهيم الصبّاغ ابن عين ملك وكان رجلًا كاثوليكيًا وكان معي من ذلك العرق فشرب منهُ وتعجّب وكان معهُ رجلٌ غنيٌّ اسمهُ عبار وبكرازة ابراهيم عليه صار كاثوليكيًا . فأرسلت الاحمال مع الخادم وسكنتُ عندهم في الضيعة . وكان في الضيعة قسيس نصف كاثوليكي فشرحبوا بنا كثيرًا وكانوا عصروا شرابًا وملأوهُ بالقرعات وحطّوهُ في الشمس وقد لحق . وكان في الضيعة كنيسة كبيرة وهي في وسط بستان فاراد القس ان اخدم على يده ليقدّس اذ ما كان لهُ شمّاس وقد حكم عيد الصليب . فقلتُ لهُ : ان كان ما تذكر السبعة (٥ اخدمك . فقال : هذه في يد الشماس ما هو في يد القسيس (٦ فاحرم سبعتهم . والزمنا ابراهيم وعبار ان نخدم فقدّس ذلك القسيس ذلك اليوم

١) يريد جهات العرب . والمحلّمية جيل منهم

٢) الزبش في لغة اهل ما بين النهرين البطّيخ ٣) البستوقة شبه الغاية

٤) اي عرق قويّ . من التركيّة كسكين وهو الحادّ

٥) يريد بالسبعة ساويرس وديوسقورس ويعقوب البرادعي وغيرهم من اشياع اليعاقبة

٦) يريد ان ذكر هؤلاء ياتي في صلاة يقولها الشماس لا القسيس

وعند المساء جاء الى الضيعة اثنان من الطوارنة (١ وحكيا لعلوا انهُ قد جاء مكتوب الى الطور ولجميع القرى يُقال فيه انَّ احد شمامسة ماردين صار افرنجيًا وهرب الى الطور الى المخلّصيَّة فدرنا جميع الطور فلم نجدهُ . وانَّ المطارين قد كتبوا الى الطوارنة ان كل من قتل هذا الشمّاس يكون قد كسب اجرًا عظيمًا وامروهم ان يطرحوهُ تحت نقرة الدبس ويحرقوهُ وقد وكّدوا كثيرًا في قتلهِ . فلمَّا سمع ابراهيم وعلو اتيا فاخبراني وانا في بيت القسيس وقالا : لا تخف ابدًا . فان اللاشيَّة (٢ والطوارنة ما لهم حكم هاهنا . ولمَّا جيت بعد زمان حكى لي الشمّاس عنهُ قائلًا : قرأت في ضيعة من الطور هذا المكتوب الذي كتبهُ الكركي ومطران القدس فالحقّ الحقّ انَّ عبّاد الاصنام وعبّاد النار وعبّاد الحجار ما يكتبون مثل هذا المكتوب فقرأت وتعجّبتُ كثيرًا من قساوة هؤلاء القوم

فلنرجع الى اخبار البلد . فبعد زمان جاء قابوجي من دار السلطنة وحكم في ماردين وفي تلك السنة بعينها ابتدأ طاعون في المدينة وبدأ يلقط اولادًا من المسلمين . ولما دخلت سنة الف وسبعمائة وثمانية بدأ ايضًا في النصارى وكان يموت في كل بيعة اربعة او خمسة وفي الصوم الكبير اشتدَّ جدًّا وفي العيد حميت الحديدة (٣ وليس كان هذا طاعونًا فقط بل كان فناء حتى كان يدخل الى البيت ويخطفهُ ويطلعهُ . واكثر الناس هربوا الى ديار بكر والى حلب والى غير اماكن

ثمَّ امر الحاكم ان يخرج الناس من مسلمين ونصارى الى الصلاة اما اليعاقبة فتجبّروا وعصَوا بعضهم الى الحاكم ومدحوا بطركهم قائلين : امرٌ أن يجي البطرك ويصلي فينقطع الطاعون . فامر ان يروحوا ويجيبوه . فلما جاء من دير الزعفران راح الى دير مار ميخائيل الملقّب بدير السمكة وراحت معهُ طائفة الارمن وطائفة الكلدان (٤ وصلّوا خارج الباب البرّاني . وبعد الصلاة قام البطرك ليكرز وبدأ يجدّف على الكنيسة المقدّسة ويقول انَّ هذا الموت العاجل ما جاء علينا الّا من اجل خطيئة النصارى الذين عابروا

١) اي من يعاقبة طور عابدين
٢) قوم من اليعاقبة
٣) حميت الحديدة في لهجة العامّة بمعنى تفاقم الامر
٤) يريد النساطرة منهم

على دينهم وصاروا يشتمون المسيح (١ وكرّر قولهُ هذا. وكان هناك بعض الكاثوليك فزعق واحد منهم باعلى صوته بين ذلك الجمهور قائلًا: من يشتم المسيح يشقُّ الله. ففي ساعته باعجوبة الله تعالى احمرَّ البطرك واصفرَّ ووقع على الارض وانعقد لسانهُ وكان يمكن الانسان ان يضع يدهُ على جمر النار ولا يقدر ان يضعها على جسد هذا الشقيّ لانَّ ملاك الله ضربهُ مثل هيرودس وانضرب معهُ في ذلك النهار ثلثمائة نفر وكلهم ماتوا. وحملوا البطرك الى دير الزعفران ورحت انا الحقير معهم وظلَّ ثمانية ايام يشتعل مثل لهيب النار ولسانهُ معقود وبعد ذلك خرجت روحهُ. وبعد خروجها فاحت منهُ روائح مكروهة مثل رائحة جهنم. وكان هناك شمّاس حلبي يقال لهُ ميخائيل فلما نظر اني قد شدَّيت (سددت) انني وفمي صار يقول لي: اشتغيت يا شماس ايليا في البطرك الذي مات هذه الموتة الشنيعة. وكانوا قد وضعوا اربعة مناقل نار وكانوا يرمون فيها حفنات من البخور لتهدأ الروائح النتنة فلم تهدأ بل تزداد اكثر واكثر. ثم تقدَّموا ليغسلوهُ ويكفّنوهُ فالذي غسلهُ انطمن ومات والذي كفَّنهُ كذلك والذي نزَّلهُ في القبر ففي القبر انطمن ومات. وجابوا في الساعة حمل كلس وبلّطوا القبر لعلَّ الرائحة تنقطع فكانت تزداد ازيد ولزيد ثم اغلقوا باب بيت الشهداء وكبّجوا (٢ الباب وبلّطوهُ بالكلس لتبطل الرائحة فلم تبطل

وكان المطران الكركيّ كل يوم يأخذ ثياب البطرك ولفّتهُ وعكّازهُ ويضعهما قدام هيكل مرت شمرني (٣ الذي هو في صدر الدير بعيدًا عن باب بيت الشهداء مشوار ويصلّي عليها وهو وحدهُ لا يرافقهُ احد من تابعيهِ ولا من تلاميذهِ الرهبان. وفي النهار الذي مات فيهِ البطرك الشقيّ مات بمقدار عشرين واحدًا من اتباعهِ الذين كانوا يدعون انفسهم علماء. ومات ايضًا في ذلك النهار بعض المسلمين فمات القاضي والمفتي والواعظ واحد المدرّسين فاندهشت عقولنا من هذه الامور. وحقًا انني ما اكذب في هذا الكلام بل قصصت وما زدتُ (لهُ بقيّة)

١) يعني الكاثوليك كانهم لاقرارهم بطبيعتي المسيح يقسمون المسيح فيفصلون لاهوتهُ عن ناسوتهِ كالنسطورة الذين يقولون بالاقنومين والفرق بين القولين ظاهر

٢) اي جللوا عليهِ اللبد. وبيت الشهداء في الكنائس حيث توضع ذخائر الشهداء

٣) اي القديسة اشمونة ام الفتية المكابيين السبعة